رجاء النقاش

لبنان والثقافة العربية

نعيد فيما يلي نشر هذه المقالة التي كان الكاتب العربي المصري الاستاذ رجاء النقاش نشرها في مجلة « المصور » القاهرية في اثناء محنة لبنان ، شاكرين له تحيته للبنان عامة ولصاحب « الآداب » خاصة .

« التحرير »

الحزن على لبنان كبير ، كبير .. فقد كانت لبنان رغم كل العيوب والاخطاء موطنا من مواطن الازدهار العربي الحقيقي ، فقد كان في لبنان خلال السنوات الثلاثين الماضية اجمل العمارات التي ظهرت في العواصم العربية، واجمل الفنادق ، واجمل المقاهي ، واجمل المصايف ، واجمل الازياء .

ولكن هذا كله ـ في رأيي ـ كان هامشا من هوامش الازدهار ، ولم يكن هو الجوهر الذي يثير الاعجاب والتقدير .. ويثير اليوم في النفس حزنا ليس بعده حزن .

وجوهر الازدهار الحضاري في لبنان كان يتركز كما رأيته على حقيقته في الحركة الثقافية .

وكنت عندما ازور لبنان ولمدة اسبوعين اخرج منها بحصيلة وافرة ...

كنت اشاهد فيها احدث الافلام المعروضة في العالم .

وكنت اشتري منها احدث الكتب الاجنبية التي كانت تظهر في مكتباتها في نفس الوقت الذي كانت تظهر فيه في لندن او نيويورك او باريس .

وكنت اقرأ فيها احدث الاخبار العالمية .. فقد تحولت بيروت الى مركز دولي للاخبار لا مثيل له في الشرق كله .

وكان من عادتي ان ازور صديقي الكاتب الكبير ميشال ابوجودة ، صاحب اهم « عمود » يومي سياسي في الصحافة العربية الحديثة ... كنت ازوره في مكتبه بجريدة النهار ، فأسمع كل اخبار الدنيا ، واهم اخبار الدنيا في ساعات قليلة ، فقد كان مكتبه مثل مكاتب كبار الصحفيين العالميين ، مكانا تلتقي فيه شخصيات بارزة ، وصحفيون من شتى انحاء الدنيا ، وسياسيون مسئولون ، ولذلك كانت كل اخبار الدنيا تتجمع هناك .

على ان بيروت لم تقتصر على ان تكون سوقا لبيع احدث السلع الثقافية في العالم ، ونشر الاخبار .

كلا ... لقد قامت لبنان بدور خطير في حماية الثقافة العربية .

وكان هذا الدور متشعب الجوانب ، ولولا هذا الدور لاصيبت الثقافة العربية المعاصرة بنكسة خطيرة ، لم تكن تستطيع ان تنهض منها قبل جيل كامل .

فالجيل الادبي الجديد الذي ظهر في اوائل الخمسينات في الوطن العربي كله لم يجد فرصة للظهور الا في بيروت ، وبعد ان قدمته بيروت للحياة الادبية استطاع ان يقف على اقدامه ويلعب دوره الادبي بعد ذلك .

ان نازك الملائكة ، والسياب ، والبياتي ، وشفيق الكمالي ، وعبدالصبور وحجازي ، وسعدي يوسف ،وابو سنة ، وأمل دنقل وغيرهم من شعراء هذا الجيل ظهروا في بيروت اولا ، وقدمتهم بيروت الى الحياة الادبية وسهرت على انتاجهم واسمائهم حتى اصبح لها قيمتها ، ووزنها في الادب العربي والحياة العربية .

وفي ميدان القصة ظهر في بيروت عبدالسلام العجيلي وزكريا تامر ، وعبدالرحمن فهمي ، وسليمان فياض وابو المعاطي ابو النجا وغالب هلسا وغيرهم من اشهر المواهب القصصية في الجيل العربي الجديد .

وفي بيروت اشرقت لاول مرة عبقرية الطيب صالح الروائية .

هذه النماذج كلها تعني شيئا واحدا هو ان لبنان قد احتضنت الحركة الادبية الجديدة التي كانت تعاني في

بلادهـا صعوبات متعددة . لم تتساءل بيروت يومـا عن اسماء هؤلاء الكتاب والشعراء . بل فتحت ذراعيها لفنهم وكتاباتهم دون تردد .. وكانت بذلك تفتح بابا واسعـا للاجتهاد والتجديد في الادب العربـي المعاصر . وبفضل بيروت ولد الجيل الادبي العربي الجديد الـذي يحتـل مكان الصدارة الان في حياتنا الثقافيـة في كل مكان .

واني لاذكـر اليوم بالخير هنا مجلة عظيمة هي مجلة « الآداب » ، التي استمرت تصدر شهريا في بيروت منذ سنـة ١٩٥٣ حتى انقطعت عنا اخبارها منذ شهور .

اذكـر هذه المجلة واذكـر صاحبها الاديب الفنـان الدكتور سهيل ادريس . لقد لعبت هذه المجلة دورا كبيرا جدا في احتضان الجيل الادبي الجديد وتمهيد الطريـق امامه . ولم يكتف سهيل ادريس بنشر الانتاج الادبـي للجيل الجديد في مجلة الاداب ، بـل انشأ دار الآداب للنشر ، وكان لهذه الدار الفضل الاكبر في اصدار كثير من الكتب والدراسات ودواوين الشعر والروايـات ومجموعات القصص ، لكل البارزيـن مـن كتاب الجيـل الجديـد .. وذلك قبل ان يبرزوا وقبل ان يعرفهـم النـاس .

ودور سهيل ادريس في الخمسينات والستينات هو اتمام لدور مشابه في الثلاثينات والاربعينات قام بـه الاديب العربي الكبير احمد حسن الزيات عن طريق مجلة « الرسالـة » التي انشأهـا سنـة ١٩٣٣ واستمرت تصدر حتـى سنـة ١٩٥٣ .

وخلال عشريـن سنـة متصلة استطـاع الزيات ان يقدم للثقافة العربية جيلين كامليـن من اجيال الادبـاء والمثقفيـن العرب المعاصريـن .

وبعده ظهر سهيـل ادريس فـي الخمسينات والستينات ليواصل هذه الرسالة الثقافية العظيمة .

ولا املك هنا الا ان اقـول لسهيل ادريس وانا لا اعرف الان عن اخباره شيئا ...لا املك الا ان اقول له :

رعاك الله يا سهيل وحماك من هذه المحنة الكبيـرة وعوضك خيرا بحق ما قدمته لامتك العربية ولكل اصحاب الاقلام الجديدة فيها من العون والحب والرعاية .

هذا نموذج لمـا قدمته بيروت من اجل الادب العربي الجديد . على ان بيروت لـم تتوقف عند هذه الحدود بل قامت بخدمة جليلة في نشر التراث العربي القديم كلـه في طباعـة رائعة راقية .

التتمة على الصفحـة ـ ٧١ ـ

الفكر العربي
في معركة النهضة
تأليف الدكتور انـور عبدالملك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدد من جمهور القراء في العالم العربي ، هـو قطاع الجيل الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والعمـل ، شباب الانتاج والعلم والسلاح . ربمـا يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا ـ الذي كان « على موعد مع القدر » ـ اسهامـا في نهضتنا الحضارية . نقول « البعض » ،اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربـي فـي عصر النهضة الحضارية ، وهو المنهج النابع من تغيير الاطار المعرفي ـ وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ ١٩٥٩ ، والمرتقب؛ الا وهـو تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعـل حضارات الشرق والغرب ـ نقول : ان هذا المنهج وذلك التجديد النظري يمثلان على وجه التحديد الـى مرحلة الثورة الوطنية التقدمية وغايتها النهضة الحضارية ، وهي مرحلة جديدة حقا على المفاهيم والتقاليد الفكرية الموروثة للاجيال السابقة من حركتنا الوطنية المتأقلمة في اغلب الاحيان في اجواء ثقافية ـ فكرية استشراقية، اوامية، او سلفيـة .

وهو كتاب يتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنـا العربي المعاصر ، الا وهـو : كيف يمكن ان نقيم علاقـة جدلية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطنـي التحرري المتجه الـى الثـورة الاجتماعية والهدف الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة تواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم اجمع ، تكون ،على وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية فـي مصر والعالم العربي ؟ » . ـ من المقدمة ـ

منشورات دار الآداب — الثمن ٨٥ قرشا لبنانيـا

تتمة لبنان والثقافة العربية

تابع المنشور على الصفحة ـ ٣ ـ

وسوف تجد الآن في كل المكتبات العربية طبعات ممتازة لاهم كتب التراث العربي التي نفدت من الاسواق ولم يكن لها وجود بين ايدي القراء قبل ظهور حركة النشر في بيروت ، كذلك نشرت بيروت كثيرا من كتب التراث التي لم تكن منشورة من قبل .

صحيح ان هناك اخطاء كثيرة في كتب التراث المنشورة في بيروت لان بعضها لم ينشر على اساس علمي دقيق ، وانما نشر بسرعة وبدون مراجعة علمية كافية ..

ولكن هذا لا يهم كثيرا .

المهم ان هذه الكتب اصبحت موجودة بين ايدينا ويستطيع العلماء ان يتناولوها بالبحث والدراسة والمراجعة . وفرق كبير جدا بين ألا تكون هذ الكتب منشورة اصلا وبين ان تكون منشورة وفيها اخطاء يمكن تصحيحها .. ولو كانت هذه الاخطاء كثيرة .

على ان بيروت لم تكتف بنشر التراث القديم بل قامت بنشر التراث الجديد .

وهنا يبرز فضل عظيم لناشر مثقف ووطني عربي مخلص هو الدكتور عبدالوهاب الكيالي ومؤسسته المعروفة باسم المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

لقد قام الكيالي بنشر الاعمال الكاملة لمحمد عبده ، والافغاني ، وقاسم امين ، والكواكبي ، ورفاعة رافع الطهطاوي .

وكان حماسه لهذه الاعمال الفكرية هو السبب في ظهورها حيث اشرف على تحقيقها ودراستها عالم مصري فلاح هو الدكتور محمد عمارة . ولولا الكيالي وعمارة لظلت هذه الكتب وهما من الاوهام واشاعة من الاشاعات العلمية يركب اليها الباحثون كل صعب حتى يصلوا اليها ، وقد لا يصلون على الاطلاق .

بل لقد قامت لبنان بنشر اعمال كتابنا المعاصرين نشرا ممتازا ، وساهمت في انتشار هذه الاعمال على اوسع نطاق ..

فكتب طه حسين والعقاد واحمد امين والرافعي والحكيم ونجيب محفوظ ويوسف ادريس منشورة كلها في بيروت في طباعة انيقة ، وقد حرص الناشرون على توزيعها في كل انحاء الوطن العربي وبذلوا في ذلك جهودا كبيرة نادرة .

ولا يمكن ان ننسى ادب الارض المحتلة ، حيث استطاعت بيروت ان تكتشفه وتقدمه الى العالم وتنشره على نطاق واسع .

وهنا اذكر بالخير صديقنا الاستاذ احمد سعيد محمدية صاحب دار العودة التي بذلت جهدا واسعا مشكورا في هذا المجال ، وكان لها فضل كبير في ظهور انتاج محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد واميل حبيبي وغيرهم من ادباء الارض المحتلة .

وفي مجال الترجمة الى العربية قامت بيروت بدور بدور لا يمكن وصفه الا بانه دور جبار .

دور جبار .. رغم ضعف الترجمة احيانا ، ورغم غموضها أحيانا ، ورغم ما فيها من نقص وتشويه في احيان اخرى .. ولكن دور بيروت في الترجمة الى العربية ـ رغم كل عيوبه ـ هو دور اساسي في فتح الافاق العالمية امام العقل العربي المعاصر خلال ربع القرن الاخير .

كل هذا الازدهار الثقافي العظيم يحترق الان في نيران الحرب الاهلية ويضيع .

كل هذا الازدهار ينهار امام عيوننا ونحن لا نملك الا ان نبكي عليه ونتحسر .

ومن حق لبنان المثقف في محنته ان نحييه وان نقول عنه كلمة حق وان نذرف دمعة خالصة مخلصة على ايامه التي لم نقدرها حق قدرها وتركناها للنار تأكلها بلا رحمة ، وبلا حياء مما سوف يقوله التاريخ عن الذين حرقوا هذه الجنة العربية الصغيرة التي لم تكن بلا خطايا .. وقد كان واجبنا ان نحرق الخطايا وحدها .. اما ان نترك النيران تلتهم كل شيء .. فهذا هو الخطأ .

واخيرا .. ماذا اقول ؟.

يا حسرة القلب ويا لوعة الضمير على ما اصابك يا لبنان !.

القاهرة